CONFÉRENCE DES ÉVÊQUES LATINS DANS LES RÉGIONS ARABES C.E.L.R.A.

مجلس الأساقفة اللاتين في الدول العربية

Prot. N. (2) 148/2022

تقديم الكتاب

يسُرُّني أن أقدِّمَ هذه الطبعةَ الجديدةَ لكتابِ القدّاس بحسَبِ الطقسِ اللاتينيّ باللغةِ العربيّة، والذي ستَعتمِدُهُ الكنائسُ اللاتينيّة الناطقةُ باللغةِ العربيّة، أي في جميعِ أنحاءِ الشرقِ الأوسط، وربما أبعدَ من ذلك، في بُلدانِ المهجر. تَظهَرُ أهميَّةُ هذه الطبعة إذا اعتبَرْنا أنه لم تتِمَّ إعادةُ طبعِ كتابِ القداس باللغةِ العربيَّة أو تحديثِه، منذ سنة ١٩٨٤. تمَّ تنقيحُ هذه الطبعةِ الجديدة من حيث المضمون والأسلوب اللغويّ، وكذلك الرسوماتُ المرافقة، أُضِيفَت إليها أيقوناتٌ جميلة، لاتينية بلَمَساتٍ شرقيّة، «أعِدَّتْ» خصيصًا لهذه الطبعة. راعَتْ تحديثاتُ المحتوى مراعاةً دقيقة الطبعةَ النموذجيَّة الثالثة، لكتاب القداس اللاتيني[1] (Missale Romanum).

وافَقَ على العمل بالإجماع أعضاءُ مجلس الأساقفة اللاتين في البلدان العربية (CERLA)، وهو نتاجُ عملٍ مشترَك ثمينٍ ودؤُوبٍ للأساقفةِ والخبراءِ من جميعِ الأبرشيَّات والنياباتِ الأسقفيّة (cf. SC 25). أشرف على العمل أولًا المطران وليم الشوملي ثم الأب عزيز حلاوة، المختَصّ بالليتورجيا ومدير مكتب الليتورجيا في بطريركية القدس للاتين، بالتعاون الوثيق مع الأب بهجت قره قاش من الرهبنة الفرنسيسكانية، وأعضاءُ اللجنةِ الليتورجيّة للبطريركيّة ولمجلس الأساقفة، والأخت سول غراسيا، راسمةُ الأيقونات.

تمَّ تنفيذِ العمل بحُبّ وأمانةٍ للغةِ اللاتينيّة الأصليّة، وبكفاءة، مؤسَّسةٍ على عُمقِ البشارةِ في الثقافةِ العربيَّة التي مضى عليها قرون، ورافقَها في الوقتِ نفسه حساسيّةٌ كبيرة لانفتاحِ الليتورجيا اللاتينيّة على عمليَّةِ الانثقاف العربيّ الشرقيّ عامّة، خاصَّة فيما يتعلَّق ببَعض التعديلاتِ المقترحة، والتي وافقَ عليها الكرسي الرسولي، كما ورد في الوثيقة SC رقم 40.

"الليتورجيا هي القِمَّةُ التي يتَوَجَّهُ إليها عملُ الكنيسة، وفي الوقت نفسه، هي المنبعُ الذي تتدفَّقُ منه كلُّ طاقاتِها" (SC 10). قبل أن يُكتَبَ سرُّ المسيح الفصحيّ، وقبلَ أن تتأمَّلَ فيه الأجيال وتنقلَه إلى الأجيالِ التالية، كانَ أوَّلًا يُحتفَلُ به. ولهذا فهو «المصدر». علاوة على ذلك، الليتورجيا هي ملخَّصُ إيمانِ الكنيسةِ بأكملِه: قانونُ الصلاة (*lex orandi*) يتَّفِق مع قانونِ الإيمان (*lex credendi*)[2]. لهذا السبب، تُعتبَرُ الليتورجيا أيضًا تتويجًا لكلِّ حياةِ الكنيسة وإيمانِها، ففيها يتِمُّ الاحتفال بكلِّ ما نقَلَتْهُ الكنيسة، وكلِّ ما تؤمنُ به وتَعيشُه. الليتورجيا، باختصار، هي الكتابُ المقدّس والتقليدُ المُحتفَلُ بهما. وإن كانت الليتورجيا هي الينبوعَ والقِمَّة، فإن القربان الأقدس هو أعلى قِمَّتِها، لأنه «مصدرُ وقِمَّةُ الحياة المسيحية»[3].

جوابُنا على دخولِ الربِّ يسوع المسيح وظهورِه ومرورِه الخلاصِيّ في التاريخ، هو بركةٌ وتسبيحٌ وابتهاج. والإفخارستيا هي البركةُ بامتياز، وهي الشكرُ وذبيحةُ الحمد، وهي جوابُ الكنيسةِ–عروسِ المسيح، المليئةِ بالشكرِ للرَّبِّ سيِّدِها، لدخُولِهِ في التاريخ. وهي مليئة بالحيويَّة. الإفخارستيا، هي الوليمةُ الفصحيّة، وهي مرورُ الله بنا، لينقُلَ الإنسانَ من العبوديَّةِ إلى

1 *editio typica tertia* del *Missale Romanum*.
2 cf. *Ordinamento generale del Messale Romano,* Proemio, 2; *CCC* 1124
3 *LG* 11; *CCC* 1324

الحريّة، ومن الموتِ إلى الحياة، ومن هذا العالمِ إلى الملكوتِ السماويّ. ولن نعبّر أبدًا بما فيه الكفاية عن إجلالِنا لهذه الحيويّةِ المتدفِّقة في الإفخارستيا:

«في الاحتفال بالإفخارستيا، يسوع، الحاضرُ حضورًا جوهريًّا، يُدخِلُنا بقوّةِ روحِه في الفِصح: فنعبُرُ من الموتِ إلى الحياة، ومن العبُوديّةِ إلى الحريّة، ومن الحزنِ إلى الفرح. الاحتفالُ بالإفخارستيا يقَوِّي هذه الديناميَّةَ الفصحِيَّة فينا ويقَوِّي هُوِيَّتَنا» (الاقتراح رقم ٣، في الجمعية العامة العادية الحادية عشرة لسينودس الأساقفة، ٢٣/ ١٠/ ٢٠٠٥).

لذلك، فإنّ كلَّ احتفالٍ بالإفخارستيا هو احتفالٌ بالفصح، كما يقول أحدُ الكتَّابِ الأقدمين في كنيستِنا المحلّيّة، أوسابيوس، أسقفُ قيصرية:

«كان أتباعُ موسى يذبحون حَمَلَ الفصح مرَّةً واحدةً في السنة، في الرابعَ عشرَ من الشهرِ الأوَّل، عندَ المساء. نحن، أبناءَ العهدِ الجديد، نحتفلُ بفصحِنا كلَّ يوم أحد، ونتغذَّى باستمرار بجسدِ المخلِّص، ونتناوَلُ باستمرار دمَ الحمَل (...). لذلك، نحن نحتفلُ كلَّ أسبوعٍ بفصحِنا» (Adv. Iud. III,4).

ممَّا لا شكَّ فيه أنّ الإفخارستيا، بما أنها فِصحُ الرَّبّ، فهي تتضمَّن مفهومَ الذبيحة. ومع ذلك، يجبُ فَهمُ هذا المعنى في سياقِ تَتمِيمِ يسوع المسيح لوقائعِ العهدِ القديم: يسوع هو حملُ الفصحِ الحقيقيّ. هو القادرُ على تحريرِ الإنسانِ من الخطيئة، وذلك بفَضلِ تقدمتِه الحرَّة لجسدِهِ ودَمِه، فهي ذِكرَى الخلاص. إنَّ تقدمةَ المسيحِ الحرَّةَ والإراديَّةَ على الصليب، وعطاءَه، وذبيحتَه، هي أيضًا القيامة، وتجعلُنا شركاءَ فيها. لذلك ينبغي ألا يُفهَمَ معنى الذبيحة وكأنَّها واقِعٌ جامد، بل هي جُزءٌ لا يتجزّأُ من ديناميَّةِ السِرِّ الفصحِيِّ بأكملِه: الإفخارستيا تجعَلُ الذبيحةَ التي قدَّمَها المسيحُ للآبِ على الصليب، حاضِرةً وحقيقيَّة، وعَطاؤُه الكامِل هو بهذا المعنى «ذِكرَى حيَّة»، وليسَ مُجرّد ذِكرَى.

إنّ ديناميّةَ سرِّ المسيحِ الفصحيّ، التي ذكَرْناها أعلاه، كان لها أثرٌ بالِغٌ منذُ البَدء، فأدَّتْ إلى ازدهارٍ كبيرٍ في الطقوس، وصارَتْ مثلَ شجرةٍ يانعة، وسيمفونيَّةٍ رائعة بأشكالِها الليتورجيَّةِ المختلفة. في هذا «الازدهارِ» الليتورجيّ، لعبَتْ كنيستُنا، كنيسةُ القدس الأُمّ، كما هو معروف جيِّدًا، دورًا أساسيًّا. في العِلِّيّة، القلبِ النابضِ للكنيسةِ الجامعة، أسَّسَ يسوع الإقخارستيا، سرَّ المحبة. هنا، في الواقع، «إذ أرادَ الاحتفالَ بوليمةِ الفصحِ مع تلاميذِه، وفيها أقامَ ذبيحةَ جسدِهِ ودمِهِ، أمرَ تلاميذَه بتجهيزِ غُرفةٍ « كبيرةٍ مَفروشة» (لوقا ٢٢: ١٢)»[4] . من هذا المكانِ المقدَّس حيث اجتمعَتْ أوَّلُ جماعةٍ رسوليّة، انتشرَتْ وليمةُ الفصح وذبيحةُ المسيح في كلِّ مكانٍ على وجهِ الأرض: «واليوم، تَعتبِرُ الكنيسةُ هذا الأمرَ موَجَّهًا إليها، عندما تُملِي القواعد لتهيئةِ النفوس، وترتيبِ الأماكن، وتحديدِ الطقوس، واختيارِ النصوص، للاحتفالِ بالإفخارستيا»[5].

لفهم المساهمة الكبيرة التي قدَّمَتْها ليتورجيا كنيسة القدس، الكنيسةُ الأمّ، في الاحتفال الإفخارستي، وبصورة أعَمّ، في ليتورجيا الكنيسة الجامعة، يكفي أن نذكر كتاب «الديداكيه» (في نهاية القرن الأول، و بداية القرن الثاني)، والذي ظهرَ بلا رَيْب في بيئةٍ سوريّةٍ فلسطينيّة، وهو كنزٌ ثمينٌ يحتوي على أقدم صلاة إفخارستيّة (راجع ديداكيه ١٤: ٩-١٠)؛ والقديس يوستينس النابلسيّ (القرن الثاني)، أبَا كنيستِنا، الذي نقلَ إلينا أقدمَ شهادةٍ عن بِنيَةِ الليتورجيا الإفخارستيّة (راجع الحوار الأول، ٦٥-٦٧)؛ وتفسير الليتورجيا الإفخارستيّة للقديس كيرلُّس (القرن الرابع)، أسقف القدس (راجع التعاليم في الأسرار، ٤: ١ و٥: ٢-١١ و١٩-٢٣)؛ والشهاداتِ حولَ أهميّةِ الاحتفالِ اليوميّ بالقداس الإلهيّ للقديس إيرونيمس (القرن الرابع)، معلِّم الكنيسة، الذي قضَى معظَمَ حياتِه في بيت لحم (الرسالة الثانية إلى لوتشينو،٧١: ٦/ أ)؛ وشهادةَ ليتورجيا الكنيسةِ الأُمّ في القدس كما وصفَتْها الحاجَّة إيجيريا في يوميَّات رحلتِها (القرن الرابع).

4 cf. *Ordinamento generale del Messale Romano,* Proemio 1

٥ المرجع نفسه.

تقول الكنيسةُ الشرقيّة إنّ الإفخارستيا هي السماءُ نزلَتْ على الأرض (راجع يوحنا بولس الثاني، نور الشرق ١١)، ويتألّقُ فيها جمالُ الثالوثِ الأقدس وأورشليمَ السماويّة:

«في العَمَلِ المقدَّس، الجسَدُ فينا أيضًا مَدعُوٌّ إلى التسبيح، وإلى الجمال الذي يُعتبَرُ في الشرق من أعزِّ الأسماءِ للتعبيرِ عن الانسجامِ الإلهيّ ونموذجِ الإنسانيّةِ المُتجَلِّيَة[6]. ويَظهرُ ذلك في كلِّ شيء: في شَكلِ المَعبَد، وفي الأصوات، وفي الألوان، وفي الأضواء، وفي العطور. وطولُ فترةِ الاحتفالات، والابتهالاتُ المكَرَّرة، كُلُّ شيء يعبِّرُ عن التقدُّمِ في اندماجٍ تدريجيّ للشخصِ المحتفِلِ كُلِّه في السِرِّ المحتفَلِ به. وهكذا أصبحَتْ صلاة الكنيسةِ بالفعلِ اشتراكًا في الليتورجيا السماويّة، ومقدِّمةً للسعادةِ النهائيّة (يوحنا بولس الثاني، نور الشرق ١١)».

لذلك نأملُ أن يكونَ إصدارُ كتابِ القدَّاس هذا الجديد باللغة العربيّة مساهمةً تَصلُحُ لتُساعِدَ الشعبَ العربيَّ المسيحيّ على إعادةِ اكتشافِ جمالِ الكنزِ الموجودِ في الإفخارستيا، وتعزيزِه والمزيدِ من الاحتفالِ به، جمالِ المسيح، وجمالِ الجماعةِ المسيحيّة، وجمالِ الليتورجيا. جمالُ المسيحُ وحدَه هو الذي سيُخلِّصُ العالم، وجماليَّةٌ جديدةٌ ستخلِّصُ الكنيسة، والليتورجيا الإفخارستية التي تعاشُ بكلِّ أضوائِها وبمشاركةِ الجماعةِ المسيحيّة النَّشِطَة، (SC 14) هي التي ستُنقِذُ جيلَنا من سوءِ الفَهْم والانقسام.

سيرافقُ كتابُ القدّاس الجديدُ هذا صلاةَ جماعاتِنا مدَّةَ عدّةِ أجيال، وسيساعِدُ في التغذيةِ الروحيّةِ لكلِّ الذين يشاركون في العبادَةِ المركزِيّةِ في حياتِنا الإيمانيّة. لذلك كان من المهِمّ الاهتمامُ به في أدقِّ التفاصيل، وجعلُهُ سهْلَ الاستخدام، وجعلُهُ أيضًا جميلًا وثمينًا، لأنَّ العبادةَ التي نحتفلُ بها هي أيضًا ثمينة.

بالنيابةِ عن مجلسِ الأساقفةِ في البُلدانِ العربيّة، أشكُرُ جميعَ الذين عملوا لإعدادِ هذا العمَل، المسؤولَيْن الرَّئيسيَّيْن اللذَيْن تعاقَبَا على العمَل، واللجانَ الليتورجيَّةَ واللاهوتيّةَ والموسيقيَّةَ والفنِّيَّةَ المختلفة، وخبراءَ اللغة، ومصحِّحِي النصوص، وراسمةَ الأيقونات. لقد شاركَ الكثيرون في هذا العمل، كلُّ الهيئات التي يتكوّن منها مجلسُ الأساقفة، فصار حقًا عملًا جماعيًّا، وسينودسيًّا، وتشاركيًّا.

صدرَتْ الموافقةُ النهائيَّةُ على هذه الطبعةِ من كتابِ القدَّاس من قِبَل مجلسِ الأساقفةِ في الاجتماعِ العامّ الذي عُقِدَ في دبي في الفترة بين ١٨-٢٤ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٢١، وصدَرَتْ موافقةُ مجمعِ العبادةِ الإلهيّة ونظامِ الأسرار في تاريخ ١ كانون الثاني ٢٠٢٢ في عيد والدة الإله.

وبهذه الرسالة، أعلِنُ أنّ هذه الطبعةُ هي الطبعةُ النموذجيَّة والرسميَّة في اللغَةِ العربيَة للاستخدام الليتورجي. يصبحُ استخدامُ كتابِ القدَّاسِ هذا إلزاميًّا ابتداءًا من الأحدِ الأوَّل من زمن المجيء في سنة ٢٠٢٢.

القدس في ٤ شباط ٢٠٢٢

✠ **پييرباتيستا پيتساballا**
بطريرك القدس للاتين
ورئيس مجلس الأساقفة اللاتين في الدول العربية

6 cfr. Clemente di Alessandria, Il Pedagogo, III,1,1: SCh 158,12